

دراسة أثرية وتاريخية حول دير الفاروس

إعداد

رامي راوول غريغوري فيتالي

اللاذقية في ٢١ أيار ٢٠١١

مخطط الدراسة

١. مخطط افتراضي لحدود دير الفاروس

٢. مقدمة

٣. تحديد حدود الدير

٣.أ. مكان الدير حسب كتابات الرحالة والمؤرخين

٣.ب. مكان الدير حسب المكتشفات الأثرية

٣.ج. تحديد حدود الدير

٤. تسمية الفاروس

٥. لماذا وكيف ومتى تم هجر الدير؟

٦. خطوات مقترحة للتنقيب عن دير الفاروس

٧. معرض صور

٨. المراجع



١. مخطط للحدود المفترضة لدير الفاروس في هذه الدراسة

دليل المخطط:

حائط قديم —————

حدود مفترضة لدير الفاروس —————

خط خالٍ من الأشجار ضمن المقابر ربما يدل على وجود درب قديم - - - - -

□ بئر ماء قديم (المكان والقياس غير دقيقين تماماً)

🌳 أشجار زيتون قديمة جداً

■ عقار تابع لوقف الطائفة الأرثوذكسية

■ مقبرة الطائفة البروتستانتية

في العام ٢٠٠٦ أعلنت مديرية الآثار باللاذقية عن اكتشاف دير الفاروس، الدير الضائع حسب ما أسماه الباحث جبرائيل سعادة، وذلك بعد اكتشاف آثار أثناء حفر طريق جنوب تلة الفاروس، وقامت بعد ذلك مديرية الآثار بإجراء تنقييات أثرية مكثفة على التلة واكتشف فيها آثار مختلفة، بعضها تحمل رموز دينية مسيحية مما يدل على وجود مبنى أثري مسيحي على التلة، وبالمقارنة مع الدراسات المختلفة حول دير الفاروس التي ربطته بمنطقة الفاروس باللاذقية تم الإعلان عن اكتشاف دير الفاروس.

للأسف هذا الاكتشاف على أهميته ما زال ناقصاً، إذ أنه لم يستطع أن يحدد أي حدود واضحة للدير المفترض ولا مكانه الدقيق، بالإضافة إلى مسائل حول إمكانية وجود الدير فوق التلة سبق أن طرحها الباحثون لم يقدم لها هذا الاكتشاف حلاً، وأسئلة كثيرة لم يجد لها جواباً أهمها سبب وتاريخ خراب الدير.

وهنا دراسة حول الدير أحاول فيها أن أقارب الاكتشافات الأثرية وكتابات المؤرخين حول الدير، لاسيما دراسة الباحث جبرائيل سعادة المعتمقة حول دير الفاروس، محاولاً تحديد حدود الدير بدقة وإيجاد أجوبة لبعض الأسئلة التي مازالت بعد عالقة.

٣. تحديد حدود الدّير:

٣.أ. مكان الدّير حسب كتابات الرّحالة والمؤرّخين

يستبعد جبرائيل سعادة وجود الدّير عند التّلة وذلك لسببين، أوّلهما أنّ التّلة عبارة عن كتلة صخرية ضخمة ويتّضح من هذا أنّ آثار الدّير ليست مطمورة ضمن التّلة، أي أن هذه التّلة ليست عبارة عن تل أثري. ثانيهما يتعلّق بإمكانية وجود الدّير فوق التّلة، الأمر الذي يستبعده سعادة بحجّة قمّة التّلة الصغيرة التي لا تتّسع لدير كبير.

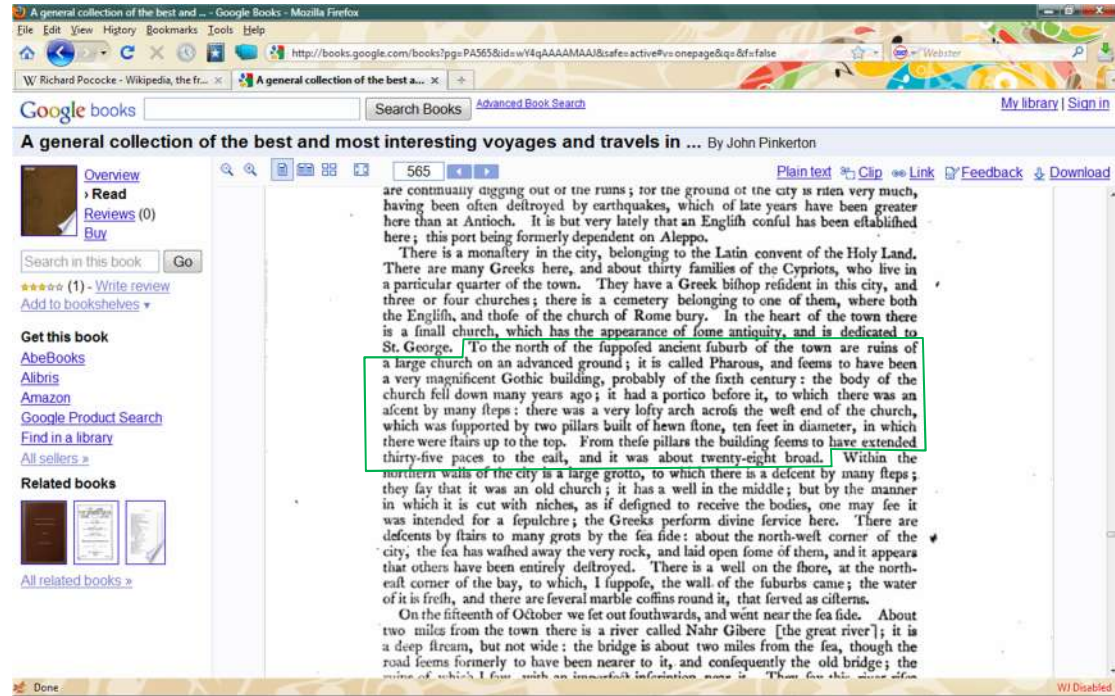
شخصياً أعتقد أن كلام سعادة فيه شيء من الصّحّة وأيضاً شيء من عدم الدقّة، ولأبين ذلك سأورد نصّين أحدهما لرحالة بريطاني زار المنطقة في الثلث الأوّل من القرن الثامن عشر، والثاني لمؤرخ عربي.

نص للرحالة ريتشارد بوكوكيه

زار الرحالة والقس البريطاني ريتشارد بوكوكيه المشرق العربي في بدايات القرن الثامن عشر (١٧٣٨ هو العام الذي يضعه جبرائيل سعادة للزيارة)، ويبدو أنّ اهتمامه الأساسي كان وصف وأرشفة الآثار المسيحية في المشرق، يورد جبرئيل سعادة نص رحلة بوكوكيه في دراسة له نشرت بعد ترجمتها من الفرنسية إلى العربية في كتاب "أبحاث تاريخية وأثرية"، للأسف الترجمة أضاعت الكثير من المعنى الأصلي لما كتبه بوكوكيه عن دير الفاروس، حيث يظهر النصّ في كتاب "أبحاث تاريخية وأثرية" غير واضح بل متناقض للغاية، ولا أدري إذا كان سبب ذلك ترجمة جبرائيل سعادة له من الانكليزية إلى الفرنسية أو ترجمة سلمان حرفوش له من الفرنسية إلى العربية، أو الاثنين، ولذلك قمت بإجراء بحث على النص الأصلي للكتاب على الإنترنت، وبالرغم من أنني لم أستطع الوصول إلى النص الأصلي إلى أنني استطعت الوصول إلى كتاب آخر باللغة الانكليزية يجمع نصوص رحلات الرحالة الانكليز ويورد نص رحلة بوكوكيه الكامل بين دفتيه وهو "*A general collection of the best and most interesting voyages and travels in all parts of the world by*

"Pinkerton, John, 1810 .

إللكم النص بالانكليزية مع ترجمة عربية حرفية قمت بها، الكتاب مكتوب بلغة انكليزية قديمة جداً لذلك نجد أن حرف s ضمن الكلمة كان يكتب بشكل مشابه لحرف f والتفريق بين الاثنين يكون حسب معنى الكلمة.



النص الانكليزي:

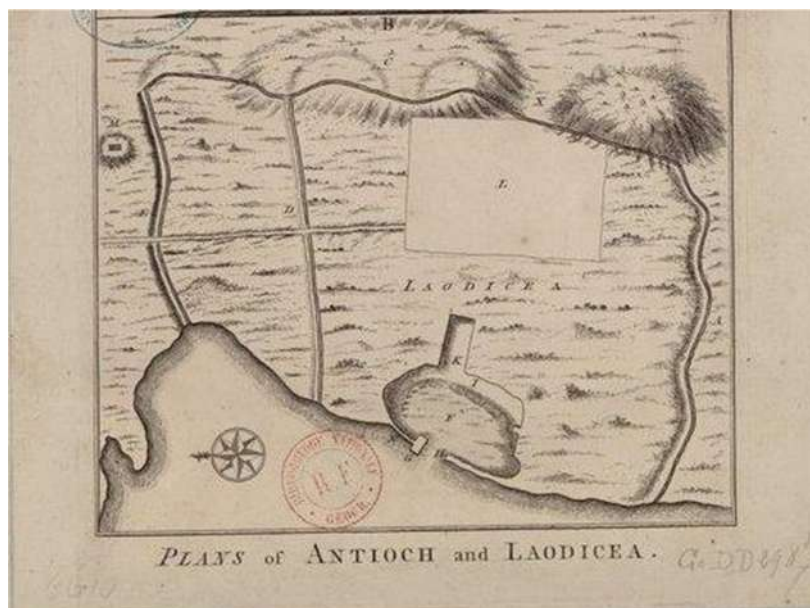
To the north of the supposed ancient suburb of the town are ruins of a large church on an advanced ground; it is called Pharous, and seems to have been a very magnificent Gothic building, probably of the sixth century: the body of the church fell down many years ago; it had a portico before it, to which there was an ascent by many steps: there was a very lofty arch across the west end of the church, which was supported by two pillars built of hewn stones, ten feet in diameter, in which there were stairs up to the top. From these pillars the building seems

to have extended thirty-five paces to the east, and it was about twenty-eight broad.

الترجمة الحرفية بالعربية:

إلى الشمال مما يفترض أنه ضواحٍ قديمة للمدينة توجد آثار كنيسة ضخمة على أرض مرتفعة، تدعى "فاروس"، ويبدو أنها كانت في الماضي بناءً قوطياً رائعاً جداً، على الأرجح يعود للقرن السادس. جسم الكنيسة كان قد سقط منذ سنوات عديدة. يتقدمها رواق يُصعد إليه بمصعد (درج) مؤلف من درجات عديدة. كان هناك قوس مرتفع جداً ضمن النهاية الغربية للكنيسة، مدعوماً ببرجين مبنيين من حجارة مصقولة، بقطر عشرة أقدام، وبداخلهما كانت هناك سالام صاعدة نحو القمة. من هذين البرجين يبدو أن المبنى امتد ٣٥ خطوة نحو الشرق، وكان بعرض حوالي ٢٨ خطوة.

إن قراءة متسرّعة لنص بوكوكيه تستنتج فوراً أن مكان الدّير يقع فوق التلّة وذلك بناء على قوله "على أرض مرتفعة" وهي أوّل خاصيّة ذكرها للكنيسة التي رآها مما يدل على أنّها أمر واضح جداً بالإضافة إلى الدرج المؤلف من درجات عديدة، وإن وجود التلّة البارزة جداً في منطقة الفاروس يجعلنا شبه متأكّدين من أنه يقصد بالأرض المرتفعة تلّة الفاروس. إضافةً إلى إشارة على مخطط رسمه للاذقية تظهر فيها تلة الفاروس مرموزاً لها بالحرف M، وفوقها تمثيل لمسقط الكنيسة، وحسب المخطط التقريبي يمكن القول أنّها تلة الفاروس الحالية نفسها.



لكن فضل الله العمري (١٣٠٠ - ١٣٤٩ م) يذكر شيئاً آخر:

"دير الفاروس على جانب اللاذقية من شماليها، وهو في أرض مستوية، وبنائه مربع، وهو حسن البقعة"

يظهر هنا لأوّل وهلة وجود تناقض صارخ بين النصّين، فالأوّل يذكر أرض مرتفعة والثاني أرض مستوية، لكن أعتقد أنّ حل هذه المفارقة ليس أمراً صعباً إطلاقاً إذا لاحظنا أن بوكوكيه إنّما يتحدّث عن كنيسة فحسب وليس عن دير، والدير عادةً بناء كبير جداً فيه غرف لسكنى الرهبان والخدمات الملحقة ويجوي ضمنه كنيسة أو أكثر، ولذلك بمقارنة النصّين نستنتج أن ما يوجد فوق التلّة هو آثار كنيسة الفاروس فحسب، وهي جزء من دير أوسع بكثير يتخطى بمحدوده حدود التلّة، وما يدعم هذه الفرضية أنّ الأرض المحيطة بالتلّة هي فعلاً أرض مستوية وبشكل ملحوظ.

كذلك نجد ملاحظة مكتوبة على إنجيل الفاروس المحتفظ به في مطرانية الروم الأرثوذكس في اللاذقية تعود إلى سنة ١٧٢٧ أي إلى وقت قريب جداً من كتابة بوكوكيه، مكتوبة بيد الخوري أنطونيوس ابن بروما من أبناء اللاذقية، تتحدث عن كنيسة الفاروس وليس عن دير الفاروس، مما يدل على أنّ الآثار المعروفة الباقية في ذلك الوقت هي آثار للكنيسة فحسب، وبكل تأكيد سواء الرحالة بوكوكيه والخوري أنطونيوس قادرين على التمييز بشكل واضح ما بين بناء الدير وبناء الكنيسة.

كذلك الأبيات التي يوردها العمري لشاعر اسمه أبو الحسن الغزي تقول:

"لم أنس في الفاروس يوماً أبيضاً مثل اللجين يزينه فرع الدجى

في ظل هيكله المشيّد وقد بدا للعين معقود السكينة أبلجاً"

تتحدث هذه الأبيات عن دير الفاروس و"هيكله"، بل عن "ظلّ هيكله"! مما يدل فعلاً على أن هيكل الدير (الكنيسة) كان مرتفعاً ويدعم هذا فرضيتنا هنا.

كذلك إذا تمعنا في نص بوكوكيه نجد أنه يتحدّث عن أطلال شاهدها إلى جنوب الكنيسة. في بدايات القرن الثامن عشر ما كان يبدو قديماً ليس البناء المؤلّف من جدران وعقود حجرية على طراز البناء الدارج في العصر العثماني، فمعظم أبنية اللاذقية كانت مبنية بهذا الشكل، لكن ربّما شاهد بوكوكيه آثاراً تبدو أنّها لحقبة أقدم، وبكلام أدق آثاراً تبدو بيزنطية أو رومانية، جنوب الكنيسة حتى قال عنها

أما تبدو قديمة. هذه الآثار التي قال أنه يعتقد أنها تعود لضواحي قديمة للمدينة من المرجح أن تكون آثاراً للدير المحيط بالكنيسة والذي لم يقل له أحد عن وجوده.

٣.ب. مكان الدير حسب المكتشفات الأثرية

قام الباحث الأثري الفرنسي Schaefer بتحري التلة عام ١٩٣٤م وعثر على عدد من الكسر العائدة للعهد الروماني وقاعدة أسطوانية لعمود وقطعة من خابية مزينة بعروق الغار وبقايا تابوت حجري مسيحي.

كما سبق وذكرنا اكتشفت مديرية الآثار في اللاذقية أثناء التنقيبات التي أجريت على التلة وجود آثار تدل على وجود مبنى مسيحي فوق التلة، وللأسف الشديد لم أستطع الحصول على توثيق لنتائج التنقيب الذي قامت به مديرية الآثار!

بنتيجة زيارتي الشخصية للتلة، شاهدت بنفسي قاعدة أسطوانية لعمود عند سفح التلة (صورة ٦)، وفوق التلة وفي بستان صغير بجانبها وجدت عمودين أسطوانيين صغيرين (بقطر حوالي ٢٠ سم) (صورة ٤ - ١٠)، وهناك قطعة حجرية كبيرة قطرها حوالي مترين فوق التلة مزخرفة على شكل زهرة، ويبدو أنها حجر رحى ولو أن هذا الاستنتاج غير أكيد (صورة ٣)، كذلك يوجد حجر يشكل جزء من عقد حجري محفور بعناية، ونقش عليه صليب بطريقة غير محكمة مما يدل على أن الصليب المحفور ليس من أصل حجر العقد (صورة ٥).

كذلك اكتشفت عدة قبور على التلة منها لطفل صغير، وقد أخبرني سيدة تسكن بجوار التلة بأن رجلاً مسناً توفي منذ فترة ليست بالقصيرة كان يقطن بالمنطقة، أخبرها بأن التلة كانت تستخدم في فترة ما للحجر الصحي لمرضى السل (وربما الكوليرا)، حيث بنيت عدة غرف لهذه الغاية وكان الذي يموت فيها من مرضى يدفن على التلة.

من المكتشفات الأثرية أيضاً قطع أثرية كبيرة محفورة بدقة وعناية ضمن مقر الدفاع المدني الذي يقع جنوب تلة الفاروس، أخبرت مديرية الآثار في اللاذقية عنها (صورة ٩ - ١٠ - ١١) وقامت بأرشفتها، وقد أشارت لي المهندسة غصون كراز إلى أن هذه القطع تشكل جزءاً من بناء بيزنطي، وهي

على الأغلب جزء من الآثار التي شاهدها بوكوكيه جنوبي الكنيسة، والتي افترض خطأً أنها ضواحٍ قديمة للمدينة.

كذلك وجدت قطعة كبيرة من عمود ضخم، ملقاة بإهمال في أرض خربة عند زاوية محطة النقل من الجهة الأقرب إلى التلّة، وهو محرز وقد يعطينا إشارة عن نوع البناء الذي كان قائماً في تلك المنطقة وتاريخه (صورة ٨).

٣. ج. تحديد حدود الدير

أولاً بشكل عام

إذا وافقنا على الفرضية السابقة بأن كنيسة الدير كانت تقع فوق التلّة والدير يحيط بها، فإنّ معرفتنا من أي جهة كان الدير يحيط بالكنيسة تساعدنا على تبيان حدوده بشكل أوضح.

في الأديرة المنتشرة في المنطقة في سورية ولبنان نجد نظامين لتموضع الكنيسة ضمن الدير، الأول أن تقع الكنيسة في نصف ساحة الدير وأبنية الدير تحيط بها من كل الجهات، كما في دير مار الياس الريح في محافظة طرطوس، الثاني الكنيسة تقع في الزاوية الشمالية الشرقية للدير، كما في دير ماجرجس الحميراء في محافظة حمص.

أجد شخصياً فرضية أن يحيط الدير بالكنيسة أمراً مستبعداً، وذلك أولاً لأن ذلك يؤدي إلى أن تكون مساحة الدير كبيرة بشكل غير معقول، خصوصاً أنه من غير الممكن بناء أبنية وجدران على منحدرات التلّة الجانبية، ما يضع أبنية الدير الأخرى خارج حدود التلّة، وهذا يعني بالفعل أن مساحة الدير ستكون واسعة بشكل هائل غير متوقع، ثانياً وجود أشجار زيتون معمرة جداً في بستان صغير جوار ملاصق للتلّة من جهة الشمال ويظهر مكانها في المخطط المرفق على شكل رسم شجرة، وقد يكون عمرها مئات السنين، ومن المعروف أن أشجار الزيتون ممكن أن تستمر في الحياة لمئات بل لآلاف السنين، من المعروف كذلك أن الأديار طالما كانت تعتمد لتأمين معيشتها على استثمار أراض زراعية تكون عادةً مجاورة للدير، وزراعة الزيتون طالما كانت النوع المفضل من الزراعة التابعة للأديار، وابن بطوطة يذكر بالتحديد أن طعام رهبان الدير كان يشكل فيه الزيتون عنصراً مهماً. ما يهمنا هنا أن وجود

الأشجار على حافة التلة من شمالها يعني أنها كانت تقع خارج حدود الدير وأن حدود الدير الشمالية تقع عند الحدود الشمالية للتلة.

أي هنا تبقى فرضية أن تكون الكنيسة وبالتالي التلة في الزاوية الشمالية الشرقية للدير.

من الجهة الجنوبية مقابل التلة على بعد قليل نجد المكان الذي كان فيه سوق الهال القديم، والذي اكتشف فيه النفط مؤخراً على ارتفاع غير عميق، ولم يلحظ وجود أية آثار في تلك المنطقة مما يستبعد امتداد مساحة الدير إليها، كذلك من الجهة الجنوبية الغربية على بعد قليل نجد المقبرة الإسلامية، ومن غير المحتمل امتداد الدير لأراضي المقبرة الإسلامية، فأولاً من غير الممكن تحول أوقاف مسيحية إلى أوقاف إسلامية في اللاذقية ذات الحضور المسيحي الواضح، ومن ناحية ثانية أرض المقبرة الإسلامية فيها انحدار شديد، مما يعني صعوبة بناء جدار وأبنية عليها، متذكرين كذلك أن العمري قال عن الدير أنه يقع في أرض مستوية.

إلى الغرب قليلاً وبعد حدود المقبرة المسيحية اكتشف العديد من القبور الرومانية، بعضها اكتشف مؤخراً أثناء حفر الأرض من أجل بناء مدرسة، وقد أخبرت عنها مديرية الآثار في اللاذقية بعد أن علمت بها من شخص يسكن في المنطقة، وقامت المديرية بالتنقيب فيها، ولم تكتشف فيها أي شيء يدل على وجود آثار ذات دلالة دينية مسيحية، وبهذا قدمت لنا معلومة مهمة جداً جداً، الدير لم يكن هناك.

وهكذا نستطيع أن نقول بكثير من الثقة أن مساحة الدير بشكل تقريبي كانت تشمل التلة وتتوسع غرباً وجنوباً وتشمل مساحة مقبرة الطائفة الأرثوذكسية الحالية.

ثانياً تحديد حدود الدير بدقة

نجد اليوم عقارين تابعين لوقف الكنيسة الأرثوذكسية في منطقة الفاروس، الأول يشكل جزءاً من التلة، والثاني هو أرض المقبرة الأرثوذكسية، ويقع مقابل التلة من الجهة الغربية الجنوبية.

بما أن الأوقاف من الصعب أن تتغير ملكيتها، فإن هذا يدعونا للافتراض أن هذه العقارات كانت في الأصل تابعة للدير، إن أول ما يمكن أن يفكر به المرء هو أن تكون حدود الدير هي حدود هذين العقارين، وبملاحظة أن الحدود الجنوبية للمقبرة متعامدة تماماً مع الحدود الجنوبية لها، يمكن رسم مربع

كبير من هذه الحدود ويشمل في الزاوية المقابلة العقار الآخر وبهذا نكون حصلنا على رسم افتراضي لحدود الدير، وهو ينسجم مع ما قيل عنه بأنه مربع وفي أرض منبسطة وأن كنيسته في أرض مرتفعة، وهذه الحدود المفترضة رسمتها باللون الأزرق في المخطط المرفق.

للتأكد من هذا الأمر هناك ناحية أخرى يجب النظر إليها وهي زاوية دوران المربع، فالمربع كما هو معروف يمكن أن يدور على نفسه بزاوية تسعين درجة. المعروف حسب التقليد المسيحي أن الكنائس ومعها الأديار تبنى بحيث يكون اتجاه الهيكل باتجاه الشرق، ولكن الواقع أنه في معظم الأديار والكنائس في المنطقة نجد أن الاتجاه يميل بزاوية واضحة عن الاتجاه الشرقي الأمثل، وذلك ربما يعود إلى ضعف إمكانيات تحديد الاتجاه في وقت بنائها.

المربع الذي حصلنا عليه يميل باتجاه دوران الساعة بزاوية صغيرة (حوالي ثلاث درجات) عن الاتجاه الأمثل المقابل للجهات الأربع. من حسن الحظ أن هناك أثر من الدير ما زال موجوداً، وهو الأثر الوحيد الذي بقي منه حياً إن صح التعبير، ويقدر أن يعطينا الجواب فيما إذا كان الزاوية الذي حصلنا عليها هي زاوية بناء الدير، وهذا الأثر هو بئر ماء يقع في نصف المربع الذي رسمته تقريباً، والشيء الجيد فيه أن شكله مربع (صورة ١)، وهذا يعطي احتمال كبير بأن تكون زاوية دورانه مطابقة لزاوية دوران الدير، ولذلك قمت بقياس زاويته باستخدام بوصلة ووجدت أنها فعلاً مطابقة لزاوية المربع الذي رسمته، مما يعطي قوة لفرضية أن تكون حدود المربع الذي رسمته هي فعلاً حدود الدير، طبعاً مع التأكيد أنها تبقى تقريبية.

أيضاً يبدو أن هناك أثر آخر له أهميته في موضوعنا هنا، حيث اكتشفت وجود حائط قديم بين الأبنية يقع في الحد الشرقي للمربع الذي رسمته ويظهر في أعلى المخطط باللون الأصفر (صورة ٢)، إن هذا الحائط حسب ما عاينته وقست زاويته بالبوصلة ينطبق تماماً على حد المربع، وهذا يعطينا دليل إضافة على أن المربع المرسوم يحدد حدود الدير، وهذا الحائط ربما هو أثر باقٍ من سور الدير الشرقي.

٤ . تسمية الفاروس

يعرف الدير من قبل المؤرخين باسم "دير الفاروس"، يقال أن كلمة "فاروس" يونانية تعني "المنارة" ولكن في الحقيقة هذا الكلام فيه شيء من عدم الدقة، فـ "فاروس" هو اسم الجزيرة التي تقع أمام سواحل الإسكندرية والتي كانت مشادة عليها منارة الإسكندرية الشهيرة، وحتى أن منارة الإسكندرية لم تكن في الأصل منارة بالمعنى التقني بل نُصِب لتكريم الآلهة، ومن ثم اكتشف البحارة أهمية النار المشادة في أعلاها لإرشاد السفن ليلاً فأصبحت تستخدم منارةً. ما يعنينا هنا أن كلمة "فاروس" أصبحت تطلق على كل منارة في العهد الروماني في التاريخ القريب من بداية المسيحية، وفي اللاذقية بشكل خاص كان هناك منارة تدعى "فاروس" ومكانها على الأغلب ضمن الميناء القديم المعروف في اللاذقية، وهذا حوالي القرن المسيحي الأول، ويوجد رسوم لهذه المنارة على العملات الرومانية الصادرة في اللاذقية.

هذا يفيدنا بأن كلمة "فاروس" كانت ذات دلالة معروفة في اللاذقية، وأعتقد أنه بعد استنتاجنا أن كنيسة الدير تقع على التلة المرتفعة بشكل بارز جداً فإن هذا قد يكون سبب إطلاق تسمية "فاروس" على الكنيسة، ومنها أخذ الدير كله اسمه.

أيضاً تنبغي الإشارة إلى أن هناك اسم آخر للكنيسة، فالكنائس عادةً يطلق عليها اسم قديس أو اسم حدث مذكور في الإنجيل، ويقول الياس صالح أن الكنيسة كانت في الأصل على اسم القديس جاورجيوس، ويقول المؤرخ شمس الدين الدمشقي بأن جميع المسيحيين يجتمعون فيه في أحد أيام السنة، مما يعني وجود عيد قديس أو عيد ديني معيّن سمي الدير على اسمه، وليس من المستغرب أن يكون على اسم القديس جاورجيوس فالقديس جاورجيوس مشهور جداً لدى مسيحي المنطقة، وهناك عدد كبير جداً من الأديار والكنائس على اسمه في سورية ولبنان، كما أنه في اللاذقية بالذات ينتشر اسم جورج ومشتقاته (جرجس، جرجي .. الخ) بكثرة ملحوظة.

٥. لماذا وكيف ومتى تم هجر الدير؟

من الثابت أن دير الفاروس بقي حيّاً لمدة ثمانمئة سنة على الأقل، من القرن السادس الميلادي حتّى نهاية القرن الرابع عشر، ومن ثم توقفت أخباره فجأة. يقول المؤرخ الياس صالح أنّه لم يستطع أن يتوصل إلى تاريخ وكيفية خراب الدير، ولكن نجد في كتاباته ما يدل على أنه يعتقد بأن الدير فعلاً قد هدم بفعل فاعل، وبالنهاية يقول أنه ربما كان لحملة تيمورنك دور في ذلك.

في واقع الأمر هناك أثر مهم جداً أخبرني به الأستاذ الباحث ياسر صاري يمكن إذا تم دراسته والتحقق منه علمياً أن يعطينا الجواب الشافي، هذا الأثر المهم هو وجود عدد كبير من الجماجم (حوالي المئة) تم اكتشافها في داخل البئر بجوار التلّة. لا أعرف فيما إذا كانت هذه الجماجم موجودة بعد أو تم استخراجها وإتلافها.

إن وجود هذه الجماجم ربما يكون سببه أحد أمرين، الأول هو أنه من عادات الأديرة الشرقية أن يتم الاحتفاظ بجماجم الرهبان المتوفين في مكان مخصص من الدير تكريماً لرفاتهم وتذكراً بالموت، وقد يكون هذا التقليد متبعاً في دير الفاروس، وربما بعد هجرة الدير أو خرابه شاهد البعض هذه الجماجم فقام برميها في البئر، وهو افتراض بعيد الاحتمال.

الاحتمال الثاني هو فعلاً أن يكون تيمورنك قد مر من هنا، وقطع الرؤوس هو بالتأكيد من شيم تيمورنك ورجاله. بقراءة سيرة تيمورنك نجد أنه في بداية القرن الخامس عشر نزل تيمورنك من دمشق إلى بعلبك وطرابلس وهدمهما، بعد ذلك عاد إلى حلب، المعروف كذلك أنه قبل وصوله إلى دمشق سبق له أن مر بحماه ودمرها، ومر بحمص دون أن يدمرها، لذلك قد يكون الطريق الذي سلكه في رجوعه من طرابلس إلى حلب يمر باللاذقية، والدمار الذي سببه في المنطقة لم يكن يسمح للمؤرخين بأن يدققوا في رحلته وأن يسجلوا تفاصيلها بدقة، ويمكن تقدير تاريخ رجوعه من طرابلس إلى حلب بسنة ١٤٠٠م أي بعد آخر ذكر لدير الفاروس بحوالي ٣٠ سنة ولم يذكره أحد بعدها.

في كتاب "القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف" يتحدث المؤرخ محمد بن إبراهيم الطيبي في وصفه لرحلة السلطان الأشرف قايتباي إلى اللاذقية عام ١٤٧٧م عن وجود خراب في المدينة، ولا نعرف بالتحديد هل سبب الخراب هو مرور تيمورنك من اللاذقية أو الزلزال الذي ضرب المنطقة عام ١٤٠٨م.

إن محاولة استخراج الجماجم من البئر وتحديد عمرها سيقدم الجواب المفتاح على هذا السؤال، فإذا كانت تعود لفترات مختلفة فهي على الأغلب جماجم كان يحتفظ بها في الدير بحكم العادة، وإن كانت تعود لزمن واحد في بداية القرن الخامس عشر فهذا قد يعطينا الدليل على مرور تيمورلنك من

اللاذقية.

هناك فرضية أخرى ترجع هدم الدير وبالتالي هجرانه يعود إلى الزلازل التي وقعت باللاذقية، هذه الفرضية تعوزها الحجة المقنعة لأنّ هدم جزء من الدير لا يبرر هجره فيإمكان الرهبان إعادة بنائه أو بناء جزء منه يكفي لاستمرار الحياة فيه.

٦ . خطوات مقترحة للتنقيب عن دير الفاروس

- ١ . إعادة النظر في نتائج التنقيبات التي تم إجراؤها على التلة مع افتراض وجود كنيسة عليها لها أبعاد محددة بشكل تقريبي حسب وصف الرحالة بوكوكيه، والمخطط الذي رسمه.
- ٢ . محاولة البحث عن الجماجم في البئر واستخراجها ودراسة تاريخها (دراسة تاريخ الكل وليس تاريخ واحدة)، وكذلك من المهم دراسة البئر ككل، وتحديد تاريخ بنائه وما مرّ عليه من تعديلات وترميمات.
- ٣ . محاولة كشف أسس الجدران القديمة المشار إليها باللون الأصفر في المخطط أعلاه، خصوصاً الجدار الصغير الذي يقع في الجهة الشرقية، هذه الجدران تم إعادة بناؤها ربما أكثر من مرة، ولكن كشف أسسها قد يعطينا إجابات.
- ٤ . في حال تمّ اكتشاف شيء في أسس هذه الجدران، يجب القيام بتنقيب على امتداد هذه الجدران يتبعه تنقيب شامل في المنطقة بالاستعانة بما تم اكتشافه، خصوصاً أن قسماً كبيراً من المنطقة المحاطة بالمربع ما زال مكشوفاً لم يتم البناء عليه.



صورة ١ - البئر الأثري الذي يقع بين المقبرة الأرثوذكسية والتلة



صورة ٢ - الحائط القديم الذي يقع في الجهة الشرقية من الحدود المفترضة للدير وهو مستقيم تماماً



صورة ٣ - حجر كبير قطره حوالي المترين قد يكون استعمل وقتاً ما حجرَ رحي محفور بطريقة بدیعة
على شكل زهرة



صورة ٤ - بقايا عمود أسطواني صغير يقع بين الأتربة فوق التلة



صورة ٥ - حجر يشكل جزء من عقد كبير محفور عليه صليب بطريقة غير محكمة يقع فوق التلة



صورة ٦ - قاعدة عمود أسطوانية بديعة تقع عند سفح التلة حين تصويرها



صورة ٧ - عمود أسطواني صغير مستخدم في سور لأحد الحقول الصغيرة على حدود للتلة



صورة ٨ - جزء من عمود أسطواني ضخم ملقى بجانب كراج السرافيس المجاور للتلة



صورة ٩ - حجر محفور بطريقة بدیعة مزین بأغصان وعناقید الكرمة یظهر أنه كان جزءاً من بناء عظیم، معروض حالياً ضمن مقر الدفاع المدني بین التلة والمقبرة الأرثوذكسیة



صورة ١٠ - حجر محفور بطريقة بدیعة یظهر أنه كان جزءاً من بناء عظیم، معروض حالياً ضمن مقر الدفاع المدني المجاور للتلة



صورة ١١ - آثار مختلفة معروضة حالياً ضمن مقر الدفاع المدني المجاور للتلة

٨. المراجع

- ١- أبحاث تاريخية وأثرية [جبرائيل سعادة] ترجمة سلمان حرفوش، الطبعة الثانية
- ٢- آثار الحقب في لاذقية العرب [الياس صالح] نسخة مطبوعة بالآلة الكاتبة
- ٣- *A general collection of the best and most interesting voyages and travels in all parts of the world* by Pinkerton, John, 1810
- ٤- حديث خاص مع الأستاذ ياسر صاري